

مفهوم الفضاء العمومي في الاسهامات الفلسفية لهابرماس

The concept of public space in Habermas's philosophical contributions

الأستاذة: محمد بلقاسم صبرينة¹

¹ جامعة وهران 1- أحمد بن بلة - الجزائر.

تاريخ النشر: 2020/07/01

تاريخ القبول: 2020/06/08

تاريخ الاستلام: 2020/05/18

© 2020 by the author. Published by the journal of Wisdom for Philosophical Studies. All rights reserved. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

ملخص :

الفضاء العام هو مفهوم ابتكره الفيلسوف هابرماس ، بعد دراسة معرفية عميقة للنهجين ، التاريخي والمعياري من أجل وصف مساحة المناقشة العامة. أدخل هابرماس في هذا المفهوم الفلسفي عدة عوامل اقتصادية وسياسية مثل البرجوازية والرأسمالية والديمقراطية والمواطنة ، ولم يفعل شيئاً كبيراً لمنع دور الأخلاق والدين في تأسيس المتطلبات الأخلاقية لهذا الفراغ. الكلمات المفتاحية: الفضاء العمومي; الشأن العام ؛ المجتمع المدني; الاعتراف العمومي ; الرأسمالية ; الطابع الاعتباري

Résumé :

L'espace public est un concept inventé Par le philosophe Habermas, après une étude épistémologique profonde des deux approches, historique et normative afin de décrire l'espace de la discussion publique

Habermas a intervenue dans cette conception philosophique, plusieurs facteurs économiques et politiques comme la bourgeoisie, le capitalisme, la démocratie et citoyenneté il n'a guère empêcher le rôle

de l'éthique et de la religion dans l'institution des exigences moraux de cet espace .

Mots clés : Espace public, affaires publiques; Société civile; reconnaissance publique; capitalisme; personnalité juridique

مقدمة مع طرح الإشكالية:

إن التجليات المفهوماتية للمفاهيم في وضعها المعرفي التجريدي، لا يمكنها أن تتفاعل لتتفاعل مع شبكة المفاهيم الأخرى، بصورة إجرائية إلا من خلال الكشف عن عمق دلالتها الفكرية. وهذا ما نقصد به فلسفة المفهوم. نحدد فلسفة الفضاء العمومي، كمتغير ثابت في موضوع البحث خاصة، وأن عمق دلالة هذا الطرح اقترن بامتداد زمني سابق مستنبط من الفلسفة الغربية الكلاسيكية، وامتداد زمني آخر غير متناه. اقترن بفضاءات تكنولوجيا الاتصال ببعديها التفاعلي وما بعد التفاعلي، وهو ما يندرج في إطار الفكر الفلسفي ما بعد الحداثي، ولقد وقفنا على مقارنة هابرماس باعتباره نقطة وصل بين الفلاسفة الكلاسيكيين، أمثال هيغل وكانط وفلاسفة عصره، مما أسهم في تشبيع فلسفي هابرماسي لمفهوم الفضاء العمومي، وتعتبر هذه المقاربة بالنسبة لموضوع بحثنا محاولة تأصيلية لهوية مفهوم الفضاء العمومي. من هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية : ماهي الأطر المعرفية والفلسفية التي أطرت مفهوم الفضاء العمومي عند الفيلسوف هابرماس ؟.

التحليل :

فلسفة الفضاء العمومي " مقارنة هابرماس "

ان الفكر الهابرماسي يتأسس نظريا على أجندة فكرية فلسفية كانطية في ظل نظرية المعرفة la théorie de la connaissance و وجود كليات معرفية des facultés cognitives¹ تتوافق من الناحية المعيارية مع حضور توصيات

¹ Jurgen Habermas / Connaissance et intérêt, traduit par Jean Marie Brohm - - France, gallimard, 1991, p. 36

أخلاقية² des commandements moraux والتي تنخرط في «علاقة صراعية»³
«une relation conflictuelle» مع مصالح الفرد. مما يجعل الإكراه الأخلاقي
contrainte morale وهذا ما يفعل القوانين الأخلاقية أو ما يمنح «فاعلية»⁴ لهذه
القواعد. «la validité des règles morales».

هذه النظرة الكانطية المعيارية، أكدت في الفكر الهابرماسي النظرية
السوسيولوجية الدوركايمية في أن الممارسات الشعائرية «تتكون بفضل رمزية
دينية»⁵.

والذي يتم استخلاصه: «هو الطابع الإجباري للمعايير الاجتماعية»⁶.
و المتأمل للفكر الهابرماسي يلمح تلك التشكيلة الفلسفية المتعددة، التي تحاول
بناء منهج معرفي انطلاقا من مفاهيم فلسفية لدراسة الوقائع الاجتماعية،
بالإضافة إلى قرنه بين الاجتماع والاتصال.

فالظاهرة الدينية يقرنها بمقاربة اتصالية انطلاقا من فرضيات سوسيولوجية،
بالإضافة إلى رؤيته النقدية في ظل نظرية المعرفة، والتي استلهمها من هيجل
«Hegel» معتبرا: أن «حجة هيجل جامعة ... لأن نقد المعرفة لا يمتلك العفوية»⁷.
و من فرضيات الفكر الهيجلي في المعرفة ما أفضت إليه «نظرية الأورغانون»
«Organon Théorie» والتي يتمثل تصورها لنقد المعرفة كاختبار لأدوات المعرفة⁸.

و من هنا تبلورت الأسس الفكرية الهابرماسية لمفهوم الوساطة
«la médiation» بمقاربة اتصالية في ظل عرضه لأفكار ماركس في تمثل: «المحيط

² Jurgen Habermas / théorie de l'agir communicationnel, Tr : Jean Louis Schlegel, tome 2, paris, Foyard, 2002 p.58.

³ IBID, p.58.

⁴ IBID, p.58.

⁵ Jurgen Habermas / théorie de l'agir communicationnel, op-cit. p.15

⁶ IBID. p.16.

⁷ IBID, p. 40.

⁸ Jurgen Habermas / théorie de l'agir communicationnel op-cit. p. 42.

الطبيعي كأنه طبيعة موضوعية بالنسبة لنا فقط من خلال وساطة الطبيعة الذاتية للإنسان بواسطة مناهج العمل الاجتماعي»⁹.

فهذه الفكرة محورية عند هيغل في نظرية الأورغانون أو «النظرية الأدائية»¹⁰ ثم لا يمكن إهمال محور المعطى المفاهيمي التفاعلي الاتصالي والذي تعود مرجعيته المفهومية كما أفصح عن ذلك هابرماس إلى أفكار «ميد» «MEAD» في محاولة تفسير التفاعل الذي تتوسطه الرموز والفعل في أدوار اجتماعية»¹¹.

هذا التفاعل يسمح ببروز وسيلة اتصالية جديدة (حركات تعبيرية تجذب السلوك نحو أعمال الرمز، ليتم المرور نحو فعل تم تعديله بمعايير «القاعدة الرمزية»¹².

أما عن مفهوم الفضاء العمومي فإن هابرماس في كتابه: l'espace public عني ابتداءً بشرح ماهية خاصية العمومي انطلاقاً من أسس نظرية سياسية كالدولة والحكم العمومي الذي يقتزن وجوباً بهذه الميزة انطلاقاً من المهام التي يؤديها¹³ «... La tâche qu'il assume».

و التي تتمثل في «الاهتمام بالشأن العام العمومي» «public, L'intérêt général».

و هو ما يمكن تفسير دلالاته «بالاعتراف العمومي»¹⁴ «La reconnaissance publique».

⁹ IBID. p. 60.

¹⁰ Jürgen Habermas /théorie de l'agir communicationnel op-cit. p. 42

¹¹ IBID. p 52.

¹² Jürgen Habermas /théorie de l'agir communicationnel, op.cit. . p 52.

¹³ Jürgen Habermas / l'espace public, traduit par Marc B - - France, Edition Fayol, 2008. P.14.

¹⁴ IBID. P.14.

على ضوء هذه النظرية يتحدد البعد الطوباوي، المعياري، السياسي عند هذا المفكر من مقارنة اتصالية خاصة حين تتوسط الوسائل الإعلامية «Média» هذا الوجود العمومي حيث يرى أن لها بعدا وظيفيا يجب أن تؤديه يتمثل في أن تكون في خدمة الاتصال في وسط الجمهور¹⁵.

وهذا ما يقتضي فاعلية المواطنين، ووعيم بقضايا الشأن العام ليضع فرضية الحوار الذي يتناوله المواطنون

¹⁶ le dialogue que les citoyens entretiennent.

مقترحا بذلك صورة نموذجية لنمط نظامي سياسي يتمتع بكفاءة تسيير الشأن العام مع اشراك المواطنين بفاعليتهم الحوارية.

¹⁷ مستمدا هذه الصورة الذهنية من «الطبقة العمومية الهيلينية»¹⁷.

وأنها تمثل «نموذجا أيديولوجيا modèlè idéologique»¹⁸.

و من أوجه القراءة المتعددة لمفهوم الفضاء العمومي لفظا ودلالة: استناده إلى الاسهام الفلسفي الديني لـ «Richard Wagner» حيث يرى هذا الأخير ان في التقاء متغيري الدين والفن يصبح «الدين ذو طابع فني حيث يمكننا القول أن الفن ينقذ جوهر الدين»¹⁹.

وذلك في دراسته للديانة المسيحية، وتمثلاتها الرمزية في شكل رسومات ليضع فرضيته الخاصة بحالة الدراسة في أسطورية مؤسسة جماليا.²⁰

¹⁵ IBID. p. 14.

¹⁶ Jürgen Habermas /l'espace public, op-cit. p. 16.

¹⁷ IBID. p. 16.

¹⁸ IBID. p 16.

¹⁹ Jürgen Habermas /le discours philosophique de la modernité, douze conférence, traduit par : Christian Bouchin d'homme - - Edition Golimard, France, 1993. P.107.

²⁰ Jürgen Habermas /le discours philosophique de la modernité, douze conférence, op-cit, P.107.

لتفضي به هذه المقدمات إلى أن: «الاحتفال الديني أصبح عملا فنيا، يتم استدعاؤه كي يحقق نصرا داخليا بالنسبة لثقافة تاريخية تم الحصول عليها من فاعلين معزولين بواسطة فضاء عمومي موجود داخل الطقس الديني»²¹.

فالفضاء العمومي حسب تحليلات هابرماس واسطة مجردة حاملة للتفاعل الرمزي الصادر عن وجود جمعي، بحيث أن حضور الرمز بما له من تداعيات إقرارية جماعية، كأن يكون ممثلا للقيم الدينية يساهم في «الاندماج الاجتماعي l'intégration sociale»²².

و بمنظور القيم السياسية، تعتبر الحريات الأساسية، كحرية التعبير، وحق المشاركة السياسية التي من تجلياتها التداول على السلطة، كمشروعات بشرية فكرية، أفرزتها السياقات التاريخية الأوروبية مفهوم استثمرته المرجعية الهابرماسية تمثل في الحياة الجماعية لشعب ما²³ «la vie collective d'un peuple» يقصد بها «تلك الخاصة التي يجب أن توجد عند شعب قادر وكريم في تغيير الدولة المؤسسة على الحاجة والضرورة في مقابل الدول المؤسسة على الحرية»²⁴.

مستندا في ذلك إلى «شيلر Schiller» في إسهامه رسالة في التربية الجمالية عند الإنسان²⁵ هذا الأخير الذي استند إلى فرضية «الفن كعقل اتصالي»²⁶ في علاقته بمفهوم طرحه تمثل في «الدولة الجمالية»²⁷. وبذلك فإن التصور الفكري

²¹ Jürgen Habermas /le discours philosophique de la modernité, douze conférence, op-cit P.107.

²² . Jürgen Habermas /le discours philosophique de la modernité, douze conférence, op-cit P. p 17.

²³ IBID. p 17.

²⁴ IBID. p.54.

²⁵ IBID, p.54.

²⁶ IBID. p.54.

²⁷ IBID. p.54.

لهابرماس عن طبيعة الفضاء العمومي هو حسيطة تداخل مجموع متغيرات فكرية، أو أنساق فلسفية في قراءتها للواقع الاجتماعي، الثقافي، الديني، والسياسي في حقب مختلفة، معبرة عن مرحليات في الطبيعة التطورية للفكر الأوروبي الفلسفي إجمالاً، لأن هذا المفهوم حتى وإن كان محركه الاتصال، كفعل، وقراءة، فإن بواده التأسيسية فلسفية بحتة، ومتعلقة بنمط اجتماعي معين له سياقاته الخاصة به التي أفرزته، ولقد مثلت السلطة الدينية، كحضور رمزي له طابع التقديس في ظل سلطة البابوات في أوروبا واحتكارهم للسلطة الدينية والزمنية، وتداعيات ذلك على الاقتصاد والفكر إشكاليات كبرى في فلسفة الفضاء العمومي انطلاقاً من مقولة التعارض بين الإيمان والمعرفة²⁸.
«l'opposition entre foi et savoir».

مما جعل العديد من المفكرين الأوروبيين، يسهمون في تقديم تحليلات وتعليقات للأوضاع استكمالاً لمسار «روسو» في فكرة العقد الاجتماعي، خاصة مع ما أفرزته الصراعات الدينية، فانتهى هيغل مثلاً إلى دعمه لفكرة: إعادة «تحيين العقل المسيحي»²⁹ «une réactualisation de l'esprit du christianisme» في ظلال مفهوم «العقل الاصلاحى»³⁰ «l'esprit de réforme».

و نظراً لتداعيات الأوضاع الاقتصادية في القراءة الفكرية للمجتمعات، فإن تنامي ظاهرة رأس المال الحروضعت معالم «المجتمع الرأسمالي ومنها ما تبلور جراء اهتمام أرباب الرأسمال بالشأن العام مفهوم «المجتمع المدني»³¹.

²⁸ Jürgen Habermas /le discours philosophique de la modernité, douze conférence, op.cit. p.36.

²⁹ IBID. p.37.

³⁰ IBID. p.37.

³¹ IBID. p.37.

و على ما تقدم يمكن اعتبار الفضاء العمومي ناشئا متى نشأت «الإرادة الجماعية la volonté commune»³² حيث تصبح هذه «الإرادة وجودا موضوعيا objective أو الميثاق le contrat»³³. تكريسا لمبدأ الحرية التي يرى هيغل: «أنها الإرادة اللامتناهية في ذات الفرد ولذاته»³⁴.

فنظرا لمبدأ الثنائية «الخير والشر» في طباع البشر فإن الإرادة إذا كانت مكرسة لذات الفرد pour soi فقد تنضوي على شرور ومظالم ضد الآخر، الذي يخرج عن نطاق الذات، ويتشارك مع الأنا في الانتماء الإقليمي والاجتماعي، والدوافع المحركة هي غريزة حب الامتلاك la possession، والملكية la propriété، وحسب التصور الهيجلي فإن ترجيح الانتقال إلى طور الدولة l'état هو الكفيل بالتسيير الأمثل للصراع بين «إرادة الشر la volonté du mal»³⁵ وبين «تجلي الإنسان كمبدأ أو فكرة، كشخص قانوني وأخلاقي»³⁶.

ذكرنا لهذه الأفكار الهيجلية هو من باب توضيحي ولو بشكل جزئي لانتماء مشروع الفضاء العمومي الهابرماسي سياسيا إلى مشروعية فكرية قانونية «القانون المجرد le droit abstrait» عند هيغل ليضع هابرماس فرضيته حول «وظيفة التصور الحروبامج الدولة لصالح المجتمع»³⁷.

و في ذلك وضعه لمفهوم فضاء عمومي أوربي قومي، جراء تقاسم القيم السياسية ذاتها لتصبح " السياسة بمعنى تشكيل الإرادة السياسية"³⁸. وتصبح

³² Hegel /principes de la philosophie du droit, - collection idées- imprimé en France, 1940, p. 118.

³³ IBID. p. 116.

³⁴ IBID. p.89.

³⁵ Hegel /principes de la philosophie du droit, - collection idées- imprimé en France, 1940 p.109.

³⁶ IBID, p.109.

³⁷ Jürgen Habermas /l'intégration républicaine Essais de la théorie pratique traduit par : Rainer Rochli - - Fayard- paris, 1981 .p. 259.

³⁸ IBID.260.

«الحكومة كأداة للإدارة العمومية»³⁹ l'état comme l'appareil de l'administration publique مع حضور بعد أخلاقي يتواطأ الجميع على إقراره قيمة جمعية «l'esthos comun»⁴⁰ في ظل ما مفهمها كمقاربة: «الفهم الجمالي الجمعي لهويتنا «une compréhension éthique commune de notre identité»⁴¹، وقد نرى هذا الطرح الهابرماسي في ظل المخاوف الهوية، مع ظهور بواذر العولة في ظل الأحادية القطبية الأمريكية، و استشعار الكيان الأوروبي للخطر الثقافي الأمريكي في ظل إشكالية صراع الحضارات.

واصل هابرماس تعميق رؤيته التأصيلية لهذا المشروع الأوروبي القومي في كتابه Morale et communication، مستخدما المقاربة الاتصالية، كوعاء محرك للمتغيرات الفكرية فالفضاء العمومي كحاوي لقضايا الشأن العام لا يصبح فاعلا إلا من خلال مدخلات ومخرجات (out put-in put) للنقاش العمومي حيث يفرز هذا الجوهر المجرد substance abstraite، واقعا مجسدا un réel concret يتمثل في القرارات السياسية les décisions politique، والتشريعات القانونية l'égislation ليفعل هابرماس هذا الإنتاج النظري الاتصالي السياسي عرض «نظرية النقاش la théorie de la discussion»⁴²

في ظل «النشاط الاتصالي l'activité communicationnelle»⁴³.

³⁹ IBID. 259.

⁴⁰ Jürgen Habermas /l'intégration républicaine Essais de la théorie pratique traduit par : Rainer Rochli - - Fayard .Opcit.p56

⁴¹ IBID. p.56.

⁴² Jürgen Habermas /Morale et communication, traduit par : Bouchin d'homme - - champs flammarion, France 1999 -p- 131.

⁴³ IBID, p- 131.

مستخدلا كمرجعية فلسفية في هذا البعد أفكار الفيلسوف الأمريكي البراغماتي Lawrance Kohlberg، كونها يستند إلى مدونة كانط الأخلاقية، وذلك في وضعه لمراحل التطور الأخلاقي «Moral developement». كانعكاسات لمرحلية تطور العقل البشري في الاجتماع و السياسة.

المرحلة الأولى: «الطاعة الحرفية للقوانين والسلطة في مستوى l'obéissance littérale aux règles et à l'autorité.⁴⁴ وهذا الامتثال يكون في المرحلة الأولى وبعدها تخيم روح المبادئ، والأفكار المثلى كالقيم، المساواة، العدالة، والحرية مع الإخلاص في الأداء والاختيار أو المواثيق النابعة عن تعهدات حرة⁴⁵ « des contrats librement engagés ».

ولقد تم استثمار هذا المفهوم في دراسات عديدة، تجاوزت الطرح النظري إلى معاينة واقعه حسب الحالة المدروسة. ففي دراسة لـ Director of public space. SE Tham. Low research group. city university New York paranoia, surveillance - The erosion of public space and the public realm and privalization in New York city تعريف Nancy Fraser للفضاء العمومي: وأنه فضاء التفاعل الاجتماعي، التبادل الحر للأفكار، والفعل السياسي للتداعيات التأثيرية للممارسات الحكومية Spacae of social interaction, free exchange of ideas and political action »⁴⁶ «that in fluences govermental practice أما Cathrine Neuveu ففي دراسة لها لواقع الفضاء العمومي الفرنسي على مستوى احياء المهاجرين من أفارقة وعرب، فقد انتهت إلى ما مفهمته أنه تحليل لفضاء عمومي حسب حقل دراستها

⁴⁴ Jürgen Habermas /Morale et communication .opcit .P. 139.

⁴⁵ IBID .P. 139.

⁴⁶ www.anthrosources.net

معتبرة أن الفضاءات العمومية كمسرح لمقاومة مجموعات تسعى للحصول على الاعتراف.

هذا ما يثري حقل البحث المفاهيمي في الفضاء العمومي أن تأصيلاته النظرية الفلسفية في طرحها الطوباوي الذي لا يخلوا من الجانب القيمي l'éthique، هو طرح نخبوي معياري Normatif، وواقع الدراسات يرصد لنا أن ما يجب أن يكون عليه النقاش العمومي هو غير ما هو كائن لغلبة الصراع على الطبع البشري في الاجتماع والسياسة⁴⁷.

الخاتمة:

ان التعقيدات الهابرماسية لفلسفة الفضاء العمومي تستمد لبناتها من أولى القضايا الفلسفية الغربية كما أن الأطوار التأسيسية للمفهوم تعكس حسب هذه المرجعية أطوارا انتقالية في الفكر السياسي الأوروبي دون استثناء لتأطير ملامح القداسة المستمدة من الديانة المسيحية من خلال استحضار روح القيم والتي أسهمت في انتقال مشروعه من مستوى الدولة الى الأمة تماشيا مع سير أحداثيات العولمة الأمريكية. إلا أن الاسقاطات العربية والإسلامية لذات المفهوم في ظل السياق الرقمي تحتاج وقفة تمحيصية على مستوى بنية ووظيفة مفهوم الفضاء العمومي .

⁴⁷ Sous la direction de cathrine Neuveu /Espace public et engagement politique, en jeux et logique de la citoyenneté locale. - - logiques politiques- France - - p. 11.

المراجع باللغة الفرنسية :

- 1- Jürgen Habermas / Connaissance et intérêt, traduit par Jean Marie Brohm - - France, gallimard, 1991.
- 2- Jürgen Habermas / théorie de l'agir communicationnel, Tr : Jean Louis Schlegel, tome 2, paris, Foyard, 2002 .
- 3- Jürgen Habermas / l'espace public, traduit par Marc B - - France, Edition Fayol, 2008.
- 4- Jürgen Habermas /le discours philosophique de la modernité, douze conférence, traduit par : Christian Bouchin d'homme - - Edition Golimard, France, 1993.
- 5- Hegel /principes de la philosophie du droit, - -collection idées-imprimé en France, 1940.
- 6- Jürgen Habermas /l'intégration républicaine Essais de la théorie pratique traduit par : Rainer Rochli - - Fayard- paris, 1981.
- 7- Jürgen Habermas /Morale et communication, traduit par : Bouchin d'homme - - champs flammariion, France 1999.
- 8- Sous la direction de cathrine Neuveu /Espace public et engagement politique, en jeux et logique de la citoyenneté locale. - - logiques politiques-France.

